

السوسيولوجية القروية في رواية "صح النوم" ليحيى حقي

Rural sociology in the novel "Sah Al-Nom" by Yahya Haqi

تاريخ الاستلام : 2021/09/24؛ تاريخ القبول : 2022/03/21

ملخص

ظهرت السوسيولوجية القروية في أمريكا من الفكرة المتمحورة على القضايا الاجتماعية ذات السياق القروي والتي نتجت إثر تفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الحاصلة من التحضر، فاهتم هذا العلم بالدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية الريفية واستمرت في أوروبا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. تطرق الأدباء إلى المواضيع الريفية وقدموا لها تحليلات اجتماعية ومن أشهرهم، الأديب يحيى حقي، الذي عاش في زمن المواجهات والصراعات؛ والذي قد وظف هذه المواجهات في أوضح صورة ممكنة، ففي روايته الشهيرة "قنديل أم هاشم" مثلاً، خاض الكاتب إلى صراع الشرق والغرب ومابين الرقي والحضارة والتخلف والخرافات وفي "البوسطجي" نراه يشير إلى الريف المصري وأميته وفي "صح النوم"، يصور الكاتب القرية ومشاكلها ويحلل أزمتها من خلال منظار السوسيولوجية القروية. وباستخدام التحليل السوسيولوجي للقرية نستطيع أن نصل إلى كنه أفكار الكاتب ونظرته تجاه المجتمع وقضاياها وتأثيرها على مؤلفاته. هذه الدراسة هدفت بالمنهج الوصفي التحليلي للكشف عن رؤية الكاتب للأوضاع الاجتماعية التي كانت تدور في الريف المصري.

الكلمات المفتاحية: السوسيولوجية ؛ يحيى حقي ؛ صح النوم ؛ القرية .

¹نعيم عموري(الكاتب المسؤول)

²ولي بماروند

³حسين مسعوديان

1 أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز- إيران

2 أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز- إيران

3 طالب مرحلة الماجستير للغة العربية وآدابها، جامعة شهيد تشمران أهواز- إيران

Abstract

Rural sociology emerged in America from the idea centered on social issues with a rural context, which resulted from the exacerbation of the economic and social problems resulting from urbanization. The writers touched on rural issues and presented them with social analyzes. The most famous of them is the writer Yahya Haqi, who lived in a time of confrontations and conflicts; The one who used these confrontations in the clearest possible way, in his famous novel "The Qandil Umm Hashem," for example, the writer delved into the struggle of the East and the West, between sophistication, civilization, backwardness, and superstitions. and its problems and analyzes its crises through the lens of rural sociology. By using the sociological analysis of the village, we can arrive at the author's thoughts, his view of society, its issues, and their impact on his books. This study aimed with the descriptive-analytical method to reveal the writer's vision of the social conditions that were taking place in the Egyptian countryside.

Keywords: Sociology, village, Yahya Haqi, Sah al-Nom..

Résumé

Rural sociology emerged in America from the idea centered on social issues with a rural context, which resulted from the exacerbation of the economic and social problems resulting from urbanization. The writers touched on rural issues and presented them with social analyzes. The most famous of them is the writer Yahya Haqi, who lived in a time of confrontations and conflicts; The one who used these confrontations in the clearest possible way, in his famous novel "The Qandil Umm Hashem," for example, the writer delved into the struggle of the East and the West, between sophistication, civilization, backwardness, and superstitions. and its problems and analyzes its crises through the lens of rural sociology. By using the sociological analysis of the village, we can arrive at the author's thoughts, his view of society, its issues, and their impact on his books. This study aimed with the descriptive-analytical method to reveal the writer's vision of the social conditions that were taking place in the Egyptian countryside.

Mots clés: Sociology, village, Yahya Haqi, Sah al-Nom.

*Corresponding author, e-mail: n.amouri@scu.ac.ir

المقدمة

مع بداية الثورة الصناعية، أخذ الإنسان يبتعد شيئاً فشيئاً من الحياة الريفية والعادية وينصاغ يوماً بعد يوم إلى الحياة الصناعية ممّا أدّى هذا الأمر إلى وقوع مشاكل في القطاع الزراعي وتفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وقد زادت الحرب العالمية الطين بلة وتدهورت الأوضاع ممّا تسبب لها الأمر بنشوء فرع خاص من السوسيولوجيا العامة، وكان هذا الفرع نتيجة من التكامل المعرفي لعدة تخصصات كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والذي سمّي فيما بعد بسوسيولوجيا القرية والذي ركّز بشكل خاص على التنشئة الاجتماعية في القرية والتنمية البشرية وحلّ الأزمات الناتجة فيها.

نظراً لحياة الروائي والكاتب المصري يحيى حقّي واهتمامه بسوسيولوجيا القرية وأهمّية الحقبة التي عاش بها قررنا دراسة روايته "صح النوم" من منظور سوسيولوجيا القرية، فإن القرية في روايته رمز لمصر، ومشاكلها هي نفس مشاكل المجتمع المصري آنذاك لاسيما أن القرية المذكورة كانت عبارة عن المجتمع المصري الذي تعيش فترة ما قبل وما بعد ثورة 23 يوليو التي أطاحت بالملكية والإقطاعية وسلطة الدول المستعمرة فكانت تصارع المشاكل والأزمات الناتجة عن هذه وتلك وقد كرّس الكاتب طاقته لتشخيص هذه الأزمات وحلّها.

لقد تمت دراسة هذا الموضوع من خلال المنهج الوصفي التحليلي والإشارة إلى رؤية الكاتب إلى هذه المسائل الاجتماعية والإجابة على السؤال التالي وهو:

1_ كيف وظّف الكاتب سوسيولوجية القرية في رواية صح النوم؟

الفرضيات

1-قسّم الكاتب روايته "صح النوم" إلى قسمين: الأول ما قبل عبور القطار من القرية والثاني ما بعده الذي كان في زمن التغييرات السياسية في القرية. واستخدم حقّي المسائل، والأزمات الاجتماعية التي كانت تحيط بأهل القرية، وسعى إلى أن يقدّم لها حلاً لاسيما في فترة ما بعد التغييرات السياسية التي طرأت بالقرية.

خلفية البحث

من خلال البحث حول الدراسات السوسيولوجية القروية وصلنا إلى عدة دراسات وكتب مرتبطة بهذا الموضوع ومنها بحث قدمه الدكتور عبدالغني منديب بعنوان محاضرات في السوسيولوجيا القروية عام 2006م في جامعة محمد الخامس في الرباط والذي تطرق فيه الكاتب إلى تكوين العلوم الاجتماعية والتنمية المحلية وأيضاً كتاب "الأسس العقلانية والسوسيولوجية للموسيقى" للكاتب "ماكس فيبر" وترجمة حسن صقر الذي نشر في المنظمة العربية للترجمة وكذلك الكتاب الذي ركّز على السوسيولوجية القروية المصرية تحت عنوان "علم المجتمع الريفي وتطبيقاته التنموية" للكاتب الدكتور محمد نبيل جامع الذي نشرته جامعة الإسكندرية عام 2019م وبحث آخر لنفس الكاتب بعنوان "تنمية المجتمع الريفي المحلي" الذي نشر عام 2011م وبحث آخر للدكتور أحمد فريقي بعنوان "الأبعاد السوسيولوجية والتربوية والقيمية للتنشئة الاجتماعية للفرد" وأخيراً كتاب "مسائل

في علم الاجتماع للكاتب "بيبر بورديو" ترجمة الدكتورة هناء صبحي الذي نشر عام 2012م في هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة.

السوسيولوجية القروية

تتقسّم الدراسة الأكاديمية إلى مجموعات وفرع تتناول كل واحدة منها موضوعاً خاصاً، وكذلك العلوم الاجتماعية تتقسّم إلى فروع كعلم الاقتصاد وعلم المجتمع وعلم النفس وعلم السياسة وعلم التاريخ وغيرها وإن العلوم الاجتماعية تُعدّ من العلوم التجريدية أي إنها لا تهدف إلى تحقيق أي نفع إنساني فوري وإنما تمثل الأساس الذي تبني عليه وتنطلق منه العلوم التطبيقية التي تهدف إلى التطبيق العملي والنفع الإنساني الفوري لسكان المجتمعات الإنسانية. (جامع، 2019م، 24)

تُعدّ السوسيولوجيا من العلوم الحديثة التي نشأت في القرن التاسع عشر على يد هنري مين وإتوتن وستيمان وبادين باوين وآخرون وكانت نشأة هذا العلم أثر تفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في أمريكا في الفترة ما بين عام ١٨٩٠م إلى عام ١٩٢٠م حيث تعرّضت مجتمعات ريفية كثيرة إلى مشاكل خطيرة نتيجةً للتحصّر والتصنيع ممّا أثار اهتمام العلماء والمتقّين والذي أدّى إلى نشأة هذا العلم كمجال أكاديمي. (جامع، 2019م، 19)

وطرأت هذه الأزمة عند الأوروبيين أيضاً فـ«التحوّلات الأساسية لتصنيع المنظومة الإنتاجية للمجتمعات القروية في أوروبا عموماً كانت بسبب النظرة الجديدة التي اعتمدتها الدول الأوروبية لمجالها الترابي والتغيّرات التي مسّت بالمجال الزراعي إذن فتأسّيس السوسيولوجيا القروية بالنسبة للمدرسة الفرنسية كان بالمنظور الصناعي للمجتمع الفرنسي حيث تبيّن أنه لتطوير وتحديث القطاعات الصناعية، لا بدّ من تحديث الفلاحة الفرنسية أولاً». (الطايبي، دت، 3)

بدأت السوسيولوجيا القروية من الفكرة المتمحورة على القضايا الاجتماعية ذات السياق القروي والريفي وبالرغم من قدم القرية وسابقة النشاطات الإنسانية فيها فإن بداية السوسيولوجيا القروية كفرع علمي متشعب من السوسيولوجيا العامة يعود إلى منتصف القرن الماضي وتحديداً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث احتاج المجتمع البشري إلى فروع مختلفة من السوسيولوجيا لحل شتّى الأزمات، وفي هذه الأنحاء ألفت سوسيولوجيا القرية تركيزها على المجتمع القروي وقضاياها وسعت إلى أن تقدّم إجابات لأزماتها ومع حدوث الوضع المأساوي والدمار الهائل الذي خلفته الحرب للمجتمع الإنساني، «استلزم الأمر إعادة بناء هائلة، مما دفع علم المجتمع الريفي لتشخيص مشاكل المزارعين وحلّها وقد ركّز علم المجتمع الريفي على الجانب الاجتماعي بدرجة أكبر من الجانب الزراعي بصفة خاصّة مما دعا أيضاً إلى نشأة فرع آخر لعلم المجتمع سمّي علم المجتمع الزراعي». (جامع، 2019م، 20)

سوسيولوجيا القرية تطرقت إلى القرية على أصعدة وفعاليات مختلفة والمشاكل الاجتماعية للمجتمع القروي ودراسة أهل الريف وما تربطهم من صلات بغيرهم من سكان غير الريفيين والقرية تقع في محور اهتمامات علم الاجتماع الريفي وفي نهاية المطاف فإن علم المجتمع الريفي يهتم بالدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي بالمناطق الريفية كما يمكن تعريفه أيضاً بطريقة أكثر موضوعية وهي «العلم الذي يشمل مجموعة من الحقائق والروابط القائمة بينها، مصاغة في صورة أفكار وآراء وأساليب وتخمينات أي ظنّيات ونظريات يهتدي بها الإنسان أي ينحو نحوها في السيطرة على القوى الاجتماعية المتعلقة بتنشئة وتطوير تركيب المجتمع الريفي مستهدفاً من ذلك خير السبل إلى مقاومة الآفات الاجتماعية الريفية وإلى تحسين

مستوى الحياة الإنسانية الرفيعة من النواحي التي لا تطرقها مباحث العلوم الزراعية الاجتماعية الأخرى.» (الزلافي، 1958م، 2)

حياة يحيى حقي

يحيى حقي هو الأديب والروائي المصري ورائد من رواد القصّة القصيرة الذي أعقب تراثاً عظيماً من الفكر والأدب. ولد يحيى حقي في السابع من يناير سنة 1905 ميلادي في عائلة من أصول تركيّة جاءت من الأناضول وسكنت حي السيدة زينب سلام الله عليها في القاهرة، كان لعائلة حقي الدور الأساسي في اهتمام يحيى حقي بالعلم والأدب وأكثرهم كانوا من الأدباء والمشاهير في هذا المجال وترعرع يحيى حقي في أجواء دينيّة، تقليديّة وعلميّة أدبيّة ودرس القرآن في كتّاب السيدة زينب سلام الله عليها في القاهرة والابتدائيّة في مدرسة والدته عباس باشا الأول في عام 1921 ميلادي وفي عام 1925م تخرّج في كليّة الحقوق السلطانيّة العليا في جامعة فؤاد الأول من فرع الحقوق والمحاماة و«كان حقي زميلاً لتوفيق الحكيم وحلمي بهجت بدوي وعبد الكريم الرفاعي آنذاك وبعد حصوله علي شهادة البكالوريا في القانون عمل محامياً في الإسكندريّة ولم يلبث في هذه المهنة أكثر من ثمانية أشهر» (حقي، 1987م، 75) التحق بعدها بوظيفة معاون إدارة في منفوط بالصعيد المصري ابتداء من يناير 1927 ميلادي ثم إنتقل للعمل في السلك الدبلوماسي حيث عين أمين محفوظات القنصلية المصريّة في جدة ثم نقل منها إلى القنصلية المصريّة في أسطنبول بعدها نقل إلى القنصلية المصريّة في روما بعد إعلان الحرب العالمية الثانية عاد إلى القاهرة ليعين موظفاً سامياً بالوزارة الخارجية المصريّة ثم عين سكرتيراً أولاً للسفارة المصريّة في باريس ثم مستشاراً في سفارة مصر في أنقرة ثم أقيل من العمل الدبلوماسي عندما تزوّج من أجنبيّة عام 1954م ثم أعيد تعيينه مديراً عامّاً لمصلحة التجارة الداخليّة في وزارة التجارة عام 1954م وعندما أنشئت مصلحة الفنون بوزارة الثقافة كان أول وآخر مدير لها من عام 1955م إلى 1958م وبعد إلغاء مصلحة الفنون نقل مستشاراً لدار الكتب وبعد سبعة أشهر قدّم استقالته من العمل الحكومي ثم عمل رئيساً للتحريير في مجلة "المجلة" عام 1962 إلى 1970م. (هوارى، 2018، 377)

دراسة يحيى حقي لفرع القانون وتعرّفه علي ثقافات البلدان الأخرى زائداً علي معرفته لمصر جعلته يتطرق أكثر إلى مواضيع ذات طابع فكري-أدبي واجتماعي-أدبي كمواجهة الثقافة الشرقيّة والغربيّة في رواية قنديل أم هاشم، والحياة القرويّة ومواجهتهم للحدث في رواية "صح النوم"، إذن لا ريب في أنّ لشخصية حقي الاجتماعيّة دور كبير في خلق رواياته لذلك كان يستعمل أساليب متعددة في الكتابة كاستخدام الرموز والمفردات البسيطة والفكاهة والدعابة ويذمّ السخرية وكان يعتقد أنّ هناك فرقاً بين السخرية والدعابة «فهو كان يداعب دعابة جميلة ولكن السخرية تعني الاستهزاء» (عبدالمعطي، 1994م، 39). حياة حقي الاجتماعيّة كانت متزامنة مع مرحلتين من تاريخ مصر؛ الأولى: ثورة المصريين ضد الإحتلال البريطاني والثانية: مرحلة تحرير مصر من المداخلات البريطانيّة والإطاحة بالحكم الملكي التي يذكرها المصريون بثورة 23 يوليو 1952 ميلادي يتحدّث حقي في ذكرياته عن تأثير هذه الحوادث على حياته الاجتماعيّة ويقول: «حين التحقت بكلية الحقوق منتشعباً بمبادئ الحزب الوطني فقد كانت "اللواء" هي جريدة الأسرة المفضلة، وإن لم يمنعنا ذلك من التعلّق بسعد زغول ومتابعة أحداث توقيت 1919 ميلادي

بحماسة شديدة فما أكثر ما كنت أصاحب أبي وشقيقي إبراهيم واسماعيل إلى "الأزهر" أو "بيت الأمة" أو "شادر مقام" في ساحة فسيحة لأستمع إلى خطباء الثورة وتبهرني أصواتهم المجلجلة حتى أصبحت الخطابة من بين هواياتي وكان الإنجليز يسدون الطرق المؤدية للأزهر... وكنا نردد مع الجموع أناشيد الثورة» (حقي، 2000م، 31) إذن فيحيى حقي لم يكن غريباً عن الشارع المصري والاجتماع، وشأنه شأن أدباء عصره، شارك في الأحداث الاجتماعية وتأثر منها واستخدمها في الإطار السوسيولوجي القروي كما في رواية "صح النوم" و"البوسطجي".

استلم حقي في عام 1969 ميلادي جائزة ميسي للأدب وفي عام 1983م نجح في أخذ الدكتوراه الفخرية من جامعة "منيا" الفرنسية في الأدب العربي وفي عام 1990 ميلادي استلم جائزة الملك فيصل الدولية كرائد لفن الكتابة في منتدى الأدب والفنون العامة، وأفضل جائزة حاز عليها يحيى حقي هو شغف الشعب المصري وتكريمهم له حاضراً كان أم غائباً ثم وافته المنية عام 1992م وهو في السابعة والثمانين من عمره.

التنشئة الاجتماعية والسوسيولوجية القروية في رواية "صح النوم"

التنشئة الاجتماعية هي العملية الاجتماعية التي تحقق للفرد الاندماج الاجتماعي وذلك من خلال الإكساب أو التلقين وتساعد علي إنماء الشخصية الاجتماعية وتكاملها.

«إنها بهذا المفهوم عملية تطبيع اجتماعية... أي جهد تبذله الجماعة لتشكيل الفرد وصياغته في قالب معين» (شكري، 1994م، 81)

وبين يحيى حقي في روايته "صح النوم" عن القضايا والمشاكل الاجتماعية التي كانت تدور في القرية المصرية وسعي جاهد لتقديم بعض الحلول لها كما يلي ذكر البعض منها:

الاختلاف الطبقي

يحتوي كل مجتمع على افراد ذوي مهارات مختلفة كالتجار والمزارعين والمعلمين وغيرهم «ولكل من هذه الفئات الاجتماعية خصائص في عيشها، وطريقة حياتها، وعاداتها وتقاليدها، ومستواها المعيشي، بل حتى لغتها الخاصة، التي تستعملها في التواصل بين افرادها فكل جماعة لغة خاصة بها تعبر بما داخلها عن ثقافتها، أي عن مجموع القيود التي تفرضها على الفرد، مقابل حصوله على صفة عضو والاعتراف به» (غراغيوم، 2011م، 139) فمنذ قديم الزمان تقسمت الجوامع البشرية إلى طبقات اجتماعية واختلفت التسميات حسب المراحل التاريخية والعوامل الأخرى، وكذلك في رواية "صح النوم" فإن الكاتب أشار إلى هذا الموضوع وبين الاختلاف الطبقي، لاسيما السائد تجاه القرويين فانقد هذا الموضوع لإصلاحه وكنموذج نري ذلك في قصة عائلة القزم:

«هذا القزم يعد نفسه من أبناء قريتنا، وما هو كذلك، فهو ينحدر من أسرة لا تجري في عروقها دماء الفلاحين» (حقي، 1994م، 38)

يشير الكاتب إلى الاختلاف الطبقي الموجود بوضوح وكأن دماء الفلاحين الذين كانوا يشكلون نسبة عالية من سكان مصر، تختلف عن الطبقة الأرستقراطية الحاكمة التي امتازت بمكانتها ورفعتها ويتابع وصف القزم وتصرفاته قائلاً:

«روي لنا سائق العرببة الفرد يوم وصل صاحبنا بالقطار كيف نزل مرفوع الهامة منتفشاً، تحت إبطه عصا قصيرة، يتلفت شمالاً ويميناً، يشير بإصبعه للسائق، كأنه قائد أصيب بالخرس... وتقدم نحو العرببة ثم وقف ينادي بكلمة "يا هانم" امرأة ضخمة بدينة يزجرها لتسرع قليلاً، هذه هي زوجة تخب في ثياب غالية من الحرير.» (حقّي، 1994، 40)

فنري الكاتب كيف يرسم صورة هذه العائلة الثرية، ويركّز علي صفات كالبذانة والثياب الغالية وطريقة المشي وحتى استخدام بعض المفردات كـ "يا هانم" لبيان الاختلاف الطبقي الموجود في المجتمع ويتابع قائلاً:

«أقامت هذه الأسرة في العاصمة واتصلت بحاشية السلطان وهو من جنس دمانها فأقطعها أرضاً فسيحة في زماننا وبنت تلك الأسرة في هذه الأرض منزلاً كبيراً كان أثاثه وتحفه حديث أهل القرية ودهشتهم، أواني عجيبة الشكل من المرمر والرخام، ودروع وسيوف وسجاد كبير تغوص فيه الأقدام... تجئ الأسرة مع المحصول ثم إذا انتفخت جيوبها عادت إلى العاصمة.» (حقّي، 1994، 39)

فالطبقة الحاكمة والنبيلة القاطنة في العاصمة والطبقة المتصلة بهم هي الطبقة الاجتماعية الفائزة بحيث أنّ لها الحق في تملك الأراضي الريفية والثروات وإيهابها لمن شاءوا ومن رحم هذا الاختلاف الطبقي يلد التجاوز على القانون لإزالة المعرقلات والمشاكل القانونية والتحايل عليه وبنفس الوقت أنّ الطبقة الأرستقراطية محصنة من قبل مرجعيات معيّنة مدعومة من نفس القانون وهناك نماذج عديدة استخدمها الكاتب لبيان هذا الاختلاف الطبقي في المجتمع المصري ونري أمثلة كثيرة لهذه المعضلة كما حدث لسكان القرية عندما أرادوا أنّ يقدموا طلباً ليتم عبور شريط السكة الحديدية من القرية ليصلها بالعاصمة فلم يستطيعوا والسبب يعود لموت وجيه القرية الذي كان متصلاً بالطبقة الحاكمة:

«فقد مات عنا منذ زمن بعيد وجيه القرية الذي يملك أكثر أراضيها ومبانيها وكان هو الذي يدافع عنها أم تراه يدافع عن مصالحه الشخصية! فللمال سلطان يلتمس له كل المعاذير وتفتح له كافة الأبواب.» (حقّي، 1994، 8)

فالثروة وكثرة الأموال جعلت من أحد سكان القرية وجيهاً عند الحكومة يدافع عن أمواله وقبيلته حسب مصلحته الشخصية وبعد موته لم يبق في القرية غني يدافع عن حقوق الناس أو بالأحرى منافع الشخصية فالطبقة الفقيرة لا تمتلك أي حق في السلطة رغم كثرتها والطبقة الحاكمة والفئة الثرية القليلة تتحكم بمجري الأمور وتنتهب الثروات.

وفي نموذج آخر بين الكاتب مدي الإخلاف الطبقي الموجود بحيث أنّ عمدة القرية الذي يمثل السلطة الحاكمة يستحق الفلاحين والقرويين وطبقتهم الفقيرة:

«ثم أنّ الله نجّانا من نظار المحطّات وأكثرهم من أقسى المرابين لأن أصلهم من الفلاحين، والفلاح لا يدفع شيئاً إذا أردفه جاره.» (حقّي، 1994، 10)

أثر هذا الاختلاف الطبقي علي زوايا مختلفة من حياة القرويين حتي أصبح الفرد يأبى أن يرتدي زي أهل القرية وترفعاً يتخذ لباساً وسطاً:

«وأنف الشاب أن يحتفظ بزي أهل المدن وأبي أن يرتدي زي الفلاحين، لأن الرأي العام في بلدنا سيرى_ يبالأسف والعجب. أن في ارتدائه لزي قومه حطة وتدهوراً، فاتخذ له زياً وسطاً» (حقي، 1994م، 60)

العلاقات الاجتماعية في القرية

تدور أحداث رواية "صح النوم" في مجتمع قروي يقوم على أساس القواعد والتقاليد وغالباً ما يتميز هذا النوع من المجتمع بأهمية الأسرة والأدوار والحرف التقليدية ومن خصائص هذه الحرف إنها تتميز بجنس الناس وطبقاتهم الاجتماعية. وعندما نقارن المجتمعات القروية بنظيرتها المدنية والحديثة، نرى أن لكل منها خصائص تختص بها وقد تكون معاكسة للمجتمع الآخر. كمثال، تُنظّم العلاقات الاجتماعية في المجتمع القروي بالشكل التقليدي السائد وكان القرار يتخذ من قبل صاحب القدرة والسلطة إلى أن وصل تيار التنوير بينما في المجتمعات الحديثة يتم تسليط الضوء على المجتمع كوحدة عضوية، وقد وظف يحيى حقي هذا الأمر في روايته وشكك في التقاليد والأعراف القروية التي تركز القدرة الاجتماعية في مكان واحد وركز على تعزيز القيم الأخرى كالمساواة والمعرفة والتقدم وسعى إلى أن يقدم نماذج ناجحة لكي يخرج القرية المصرية من حالتها التقليدية إلى مجتمع حديث كما جاء في النموذج التالي:

«أصبح لكل إنسان رأي وهذا خير وإن حسبه الغافل بلبله، ونحن نفتح صفحة جديدة، ولا نرفع الصفحة السابقة بخطفة واحدة فليس هذا مما تحتمله دنيانا... ولكني لا أعامل الأفراد، بل أهل القرية كلهم". (حقي، 1994م، 148)

تعتبر هذه أولى الخطوات للعبور من مجتمع قروي، تقليدي إلى مجتمع حضاري متطور وطوي الصفحة القديمة والنظر إلى المجتمع ومصالحه ككل وكونه عضوية.

يصور الكاتب النزعة الغالبة على القري وتأثيرها على العلاقات الاجتماعية «ألتى تتمثل في هيمنة النظام الأبوي على العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تغلب عليها الانتماءات القبلية والطائفية والمحلية، لأن المجتمع الأبوي هو نوع من المجتمعات التقليدية التي تسودها أنماط من القيم والسلوك وأشكال متميزة من التنظيم وهو يشكل لذلك، كما قلنا، بنية نوعية متميزة تتخذ أشكالاً مختلفة من بينها المجتمع الأبوي العربي، الذي هو أكثر ذكورية وأشدّ تقليدية وأكثر محاصرة لشخصية الفرد وتهميشاً للمرأة.» (الحيدري، د ت، 2)

«وبقيت للقرية دنياها. إذا أتى المساء_ سواء أكان القمر هلالاً أم بدرًا_ وفرغ الرجال الكادحون من عملهم، تسلل بعضهم إلي الحان حيث يشربون النبيذ ويلعبون الورق، ويأكلون من الطعام ما لو قدم إليهم في منازلهم لاستهانوا به، ولاموا زوجاتهم عليه أو ازدردوه علي مضض» (حقي، 1994م، 13)

«ما معني هجركم لنسائكم؟ يعيش الرجال معاً في ناحية والنساء معاً في ناحية أخرى، وما أشعها خطة لو تعلمون، حتي الحيوان لا يفعل هذا» (حقي، 1994م، 47)

المهن والمكانة الاجتماعية

المجتمع الذي رسمه يحيى حقي هو مجتمع تقليدي وريفي ونظراً لثبات شكل الحياة في الريف وأهميّة الأعراف والتقاليد، كان من الصعب أن يغيّر الفرد مكانته

الاجتماعية وبشكل عام كان يتم اكتساب مكانة الشخص في المجتمع عند الولادة وكذلك كانت مهنته:

«ورفض القزم أن تقول عنه انها تزوجت من عاطل، إذا طلع عليهما الصباح بقي في الدار بملابسه كالنسوة، لا يخرج من عمل ولا يعود من عمل... وإذا فعل الرجل ذلك زال إحترامه بته من قلب زوجه، فسعي صاحبنا حتي فاز بوظيفة... وسيعيش في وسط أناس يعرفون قدره وأصله فتم له كرامة وعمل وجاه» (حقّي، 1994م، 42)

«وقد سألته مرة كيف إختار هذه المهنة؟ أ لأنه ورثها عن أبيه أم لأنه هو أيضاً من عشاق الخمر؟» (حقّي، 1994م، 14)

وفي نموذج ثاني من قصة الفتى الفنان:

«هذا الفتى أبوه أغنى رجال الحبوب في قرينتنا، ليس له ولد غيره، يدخل مخازنه، ويسافر للأسواق وهو مطمئن النفس صادق النظرة والحساب لعلمه أن وراءه ابنه يحلّ محلّه ويقمّ مجده إذا أقعده المرض أو خطفه الموت» (حقّي، 1994م، 66 و 67)

اختلفت المهن في المجتمعات الحديثة وبقت ثابتة تقريباً في المجتمعات القروية وذلك بسبب نقص التقدم التكنولوجي ويمكن ملاحظة هذا الأمر في التفاف الناس حول مهنة الزراعة وتربية المواشي وترك ذلك أثره في طريقة حياتهم وتصرفاتهم والأنشطة الموجودة في القرية وقسم يحيى حقّي مهن القرية إلى قسمين الأولى في عهد الحياة التقليدية للقرية والثانية المهن الحديثة التي نشأت بعد دخول القطار إلى القرية الذي كان يرمز إلى الحداثة والتطور والنمو التي شهدته:

«-ماذا كنت تشغل قبل تعيينك في المجلس القروي؟

- صبي كلاف في زريبة تاجر الألبان.» (حقّي، 1994م، 102)

التنمية الاجتماعية تتحقق في كنف اشتراك وتنشيط افراد المجتمع في برامج التنمية، ففي رواية "صح النوم" بعد ما كان الكسل يسيطر على أهالي القرية جاء العهد الجديد بهذا المبدأ أن البطالة خلل في كيان المجتمع وينبغي أن يقضي عليه وكذلك مما زاد نمو المجتمع، كان «استهداف زيادة فاعلية الاشكال الموجودة من النظم السياسية وايجاد نظام أو إدارة محلية ذات كفاءة عالية حيث لا توجد مثل هذه الإدارات» (جامع، ٢٠١١، 4) وحسب التطورات الجديدة خلقت فرص عمل جديدة كما تلي:

«لا زالت تعمل كما تعهداها، ولكن قصّادها أصبحوا من العمّال، فقد كثروا الان في قرينتنا، وهي بهذا التحول أسعد وأهنأ.» (حقّي، 1994م، 133)

وفي نماذج أخرى يذكر الكاتب مهن أخرى لم تكن موجودة وخلقت هذه الفرص المهنية في العهد الجديد للقرية بعدما كان معظم السكّان يعملون في الحقول :

«ومرّ بي عامل في رداء أصفر يجرّ عربة يد، ما هذا الزي؟ فلما استوضحته علمت أنه عامل النظافة في المجلس القروي الجديد.» (حقّي، 1994م، 100)

«فإذا بي أجد نفسي أمام مبني جديد فوقه لافتة تعلن أنه «قوة المطافى» ورأيت جندياً ضخماً الجثة مفتول الشارب علي رأسه خوذة لامعة.» (حقي، 1994م، 103)

وغير هذا كله فقد حقق العهد الجديد الإصلاح الزراعي فبعدما كان الفلاح الكادح يعمل بأجور قليلة علي أراضي الملاك قرر المجلس القروي الجديد أن يقسم الأراضي ويمنح الفلاح قسماً من الأرض التي كان يعمل عليها سابقاً وأن يصبح كل فلاح مالك لأرضه وأن يجتهد فصاعداً لنفسه وليس للملاك:

«كل فلاح الان سلطان نفسه، فليكن علي الأقل رجلاً يعرف كيف يدبر أموره بحكمة وعقل، لا تكربه مشقة أو جهد، وحين تحسن زرع الأرض، فيجود محصولها.» (حقي، 1994م، 124)

طَلَاة القرية

وظّف الكاتب المبدع يحيى حقي الريف ملاذاً للمطلوبين حيث يبتعد الفرد من ضوضاء المدينة ومطاردات قوّات الحكومة وبهيم في الحقول يبحث عن حرّيته، فرواية "صح النوم" كتبت في أعقاب ثورة 23 يوليو التي أطاحت بالملكية وراح ضحيتها العشرات وصوّر حكومة الملك فاروق الأول المتسببة بالحكم ومداخلات الدول الأجنبية لاسيما بريطانيا التي سعت إلى التحكم في مصير المظاهرات والتي أرادت أن تتابع إحكام قبضتها علي مصر والأجواء البوليسية في العاصمة حيث كان يتم تصفية الثّوار:

«ليس لنا العيش في العاصمة فسيظل البوليس يتبعني ويلقيني في السجن كلما طرأت أزمة، فلا يشفيني إلا البُعد عن هذه المتاعب وأن أعيش في الريف حراً ناجياً من الظلم البين والإستبداد.» (حقي، 1994، 59)

وفي النّصوص التّالية يؤكّد الكاتب ثانياً علي الجانب الطبيعي والطلّق للقرية حيث الحياة الريفية والزراعية والإبتعاد عن ضوضاء العربات والسيارات التي تمثل الحياة الصناعية:

«وكان دكانه في أطراف القرية، تمرّ أمامه ترعة صغيرة عليها جسر من جذوع الشجر يصلح لمرور الناس والدواب، لا العربات والسيارات... فيعبر الجسر إلي أرض الله الواسعة فلا تصل آذانه ضجة أو ضوضاء.» (حقي، 1994، 60)

«استحوذ سلام الحقول علي لبّ الفتى فأخذ يهمل دكانه ويعبر الجسر إلي أرض الله الواسعة، لا تصل إلي آذانه ضجة أو ضوضاء» (حقي، 1994م، 60)

الانتهازية السياسية تجاه القرية

أعني بعبارة الانتهازية السياسية تلك المواقف المتغيرة التي يتخذها البعض من السياسيين تجاه الحكام أو تجاه تغيّر النظم في لحظات التغيّر السياسي، خاصّة التغيّر الحاد، الذي يحدث في أيّ بلد. أو تلك الفرص التي تنتهزها بعض المجموعات السياسية عندما تشعر بأن الشعب قد انشغل بقضايا حادة أو أنّ الدولة قد وجّهت جهودها تجاه تلك القضايا. وفي الوقت الذي يطلب من الجميع توجيه الجهود لمواجهة الخطر الواضح تخرج تلك القوى لتخترق الصفوف وتمزقها على أساس ديني أو سياسي. (أمانة، 2020م، ع 144)

عاني الشّارع المصريّ الكثير من قبّل الشخصيات الانتهازية وقد اهتم الكاتب بهذا الأمر وسعي إلى أن يبيّن دور هذه الشخصيات في المشاكل السياسية والاجتماعية

وكيفية استخدام المنصب السياسي أو الوجهة الاجتماعية لتحقيق المنافع والمكاسب الشخصية ولغاية أهمية هذا الأمر فقد بدأ الكاتب روايته وأنهاها بهذه الشخصيات ومن أبرزها قصة النائب ذوالجاه الذي رسم شريط السكة الحديدية التي هي رمز الحداثة والتطور إلى أرضه البعيدة عن العمران والخراب وترك القرية التي هي علي بُعد فرقة كعب من شريط السكة الحديدية:

«واشتعلت الأقاويل في العاصمة تؤكد أنّ الخط مرسوم عن عمد، ليقدم أرضاً بعيدة عن العمران يملكها نائب ذوالجاه في القرية المجاورة.» (حقي، 1994، 7)

فهذا النائب بشخصيته الانتهازية السياسية استخدم منصبه لتتال أرضه النائية والبعيدة عن العمران الرقي وتجاوز عن القرية التي كانت تقع أساساً في مسير شريط السكة الحديدية وكان ذلك بسبب فقدان القرية وجبهاً متصلاً بالطبقة الحاكمة لكي يحمي مصالحه ومصالح قومه فانتهاز النائب الفرصة.

انقطع نهائياً أمل أهل القرية بمرور شريط السكة الحديدية عندما برز واعظ القرية بشخصيته الانتهازية مؤيداً للعمدة في مخالفته بعبور شريط السكة الحديدية من القرية:

«نعم العمل عملك هكذا تكون الحكمة والسياسة وبعد النظر، كأنك تري من وراء الغيب وإن هذه القرية لم تسعد إلا في عهدك الزاهر فأنت الذي تدرأ عنها الأخطار والمتاعب، عهدك كله خير وبركة، لآحرمنا الله منك، إننا لولاك لا نساوي شيئاً، إنني أدعو الله في كل ركعة أنّ يطيل عمرك ويوطد مجدك، وهب من مكانه وجرى إلى العمدة وهوي على يده يصرّ علي أن يقبلها.» (حقي، 1994، 12)

فالواعظ هنا صاحب الشخصية الانتهازية الذي ضحى بأهل قريته ورأيهم وأبداءه موافقاً للعمدة بممانعة عبور شريط السكة الحديدية وذلك ليبقي رقيقاً للعمدة والبقاء في صفه والاستفادة من قدرته وبعد مرور العهد القديم في القرية واستبدال العمدة القديم بالجديد الذي اتخذ القرار في عبور شريط السكة الحديدية من القرية وانقلاب موازين القدرة، ظهر الواعظ بشخصيته الانتهازية مرة أخرى وفي هذه المرة مؤيداً للفكرة الجديدة حسب مصالحه فدخل إلى مجلس العمدة الجديد:

«يخبّ في ثوبه المقلّم بالأحمر والأخضر والسلم وحيًا، وتقدّم وتخلّف، وانحني وقام، ثم صفّ الوفد من خلفه بحركات سريعة مطاعة من كفه... والتفت إلى الأستاذ وقال: نعم العمل عملك هكذا تكون الحكمة والسياسة.» (حقي، 1994،

145)

وبهذه المواقف أراد يحيى حقي أن يشير إلى هذه الشخصيات التي تنمو في الأزمنة والأمكنة المختلفة لكن تزدهر وتبرز أكثر في المواقف والتغيرات الكبرى كالثورات ففي مثل هذه المواقف تكون القيم القديمة قد فقدت حلاوتها وقيمتها والقيم الجديدة لم تكد تأخذ مكانتها الجديدة فهذا الأمر يفسح المجال للانتهازيين ليستغلوا الفرصة للخلط بين القيم القديمة والقيم الحديثة في آن واحد وذلك للتخلص من الأصول والقيم الاجتماعية المكرسة بدعوى التخلص من القيم القديمة ونتيجة هذا الأمر هو فقدان المجتمع الفكرة الواضحة والمقياس السليم لكي يقيس بهما القيم المتعددة، التي يجب إزالتها عن التراث الإيجابي والتي يجب المحافظة عليها.

مشاركة الشعب بأمر الحكم

يبين يحيى حقي في روايته صح النوم أنّ في المجتمع القروي لم يكن للشعب أي مشاركة في أمر الحكم وإدارة أمور القرية أو إنها كانت ضئيلة جداً، وفي هذا المجتمع يتصرف الحكام بشكل مستقل عن الشعب وكان السعي من أجل التغيير أمراً صعباً أو يصعب تصوّره بينما في العهد الجديد الذي مرّ بالقرية فيما بعد انقلبت الموازين رأساً على عقب وقد شاركت الحكومة المحلية الشباب وأصحاب الهمم في أمر إدارة القرية وعندما قرر العمدة العجوز الذي حكم القرية في العهد القديم التقليدي أنّ عبور القطار من القرية قد يلحق بها الضرر وكان قراره هذا على رغم إرادة أهل قريته فقد فرض رأيه عليهم جميعاً وهذا ما كان يزيد الشرخ بين الشعب والحكومة:

«وقال العمدة لن تزيد الحرائق في قريتنا، ولن تزيد بالتالي ضريبة مآدبنا لمعاون البوليس وجند المطافئ إذا هبطوا علينا من المدينة ثم أنّ الله نجّانا من نظار المحطّات.» (حقي، 1994، 9-10)

بينما في العهد الجديد الذي مرّ بالقرية استلم جيل الشباب، أصحاب الهمم العالية زمام الأمور وشاركت الحكومة الشعب بأمر الحكم وبهم استطاعت أنّ تحقق النجاح، فالأهداف الرئيسية لتنمية المشاريع في المجتمعات الريفية هو اكتشاف المتخصّصين المحليين وتدريبهم ثم تشجيعهم لتصدّي الأمور:

«وأخذت أفكر وأنا عائد لداري في أعوان الأستاذ الذين التفوا به يوم أنّ ألقى خطبته الأولى، أغلب أعضاء المجلس القروي منهم، كلّهم من الشبان كنّا نراهم من قبل فلا نظن أنهم على شيء ولعل بعض الشيوخ ممن يعتزّون بتجربتهم كانوا لا يابهون بهم... لقد مرّ بقريتنا عهود متتالية لا يدير أمورهم إلا الشيوخ.» (حقي، 1994، 125)

الأمية في القرية

الأمية جعلت من سكّان القرية ناس سدّج قد أصابهم الجمود، وحياتهم حياة ساذجة لا يفقهون شيئاً عن الإستثمار أو إيداع النقود وحياتهم الاقتصادية حياة بدائية يصرفون ما يكسبون ولا يحسب أحدهم ليوم التقاعد أي حساب كما في النماذج التالية:

«فإن نساننا ومن قبلهن رجالنا لا يعرفن شيئاً يسمّى إيداع النقود في المصارف.» (حقي، 1994، 43)

أو في قصّة صاحب العربية، بعد ما مات حصانه الذي كان مصدر رزقه الوحيد ومرور القطار من القرية الذي جعل منه عاطلاً عن العمل وبسبب فقدانه أي علم أو مهارة يكتسب منها لقمة العيش أصبح فقيراً يستجدي الناس:

«إنما كان سخطي على حماقتي أنا وسوء تدبيرتي، بلغت من العمر آخره ولم أحسب حساب اليوم الأسود.» (حقي، 1994، 109)

كما أنّ يحيى حقي سعي جاهد إلى أنّ يثبت للمرأة دورها الريادي في العائلة والمجتمع وأن يكرّس في وجودها ما أنشده شاعر النيل حافظ إبراهيم:

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا فِي الشَّرْقِ عَلَّةُ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ
الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

(إبراهيم، 2014، 126)

فلو أمعنا النظر نري أنّ يحيى حقّي يحث المرأة المصرية علي التعلّم ويشجعها لكسب مهارات الحياة وما تتركه من أثر في رقي العائلة والمجتمع سواء:

«فَرَّقَ لَهَا قَلْبَهُ وَعَظَفَ عَلَيْهَا وَأَدْخَلَهَا الْمَدَارِسَ الرَّاقِيَةَ وَنَطَقَ لِسَانَهَا بِلُغَتِنَا الْفَصْحَى نَطْقًا سَلِيمًا وَتَعَلَّمَتْ فَوْقَهُ لُغَةً أَعْجَبِيَّةً أَتَقَنَّتْهَا كِتَابَةً وَقِرَاءَةً وَمَرْنَتْ عَلَي شُغْلِ الْأَبْرَةِ وَالْحَيَاكَةِ وَتَرْتِيبِ أَثَاثِ الْبَيْتِ.» (حقّي، 1994، 49)

وفي نماذج أخرى يؤكّد الكاتب علي دور العلم في مكانة الزّوجة واحترامها ويحفّز النساء للدراسة وكسب العلوم كما في هذا النص:

«وَقَالُوا عَنِ الشَّابِّ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ فِي أَنْ يَجِدَ لَهُ زَوْجَةً مِثْلَهَا مُتَعَلِّمَةٌ مَهَذَّبَةٌ.» (حقّي، 1994، 51-50)

وفي نهاية الرواية يقدّم الكاتب الدراسة وكسب العلم حلاً للخروج من الوضع الراهن في القرية ويرسم صورة العمدّة الجديد وهو يكرّس طاقته في كسب العلم والتأمل لخدمة البلد ورفع الظلم عنه:

«وَلَكِنْ كَيْفَ أَخْدُمُ بِلَدِي وَأَجَاهِدُ لِرَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهَا، إِنَّهُ ظَلَمَ عَتِيقٌ مُتَغَلِّغٌ مُتَشَعِّبٌ، وَمَكُنْتُ الشُّهُورَ الطَّوَالَ حَبِيسَ حَجَرَتِي لَا أَنْقُطِعُ عَنِ الدَّرْسِ وَالتَّأْمَلِ فَاسْتَبَاتَتْ لِي الْحَقَائِقُ وَوَضَحَ الطَّرِيقُ.» (حقّي، 1994، 91)

بسبب فقدان القرية إلي مدارس للتعليم وتنشئتهم عاني الكثير من الأميّة، وكان من الصّعب أن يرسل أهل القرية أبنائهم إلي المدن للدراسة فيبين الكاتب في النموذج التّالي هذا الأمر:

«وَلَا أَدْرِي أَيُّ جَهْدٍ بَذَلَهُ هَذَا الرَّجُلُ بِالتَّقْتِيرِ عَلَي نَفْسِهِ وَبِبَيْعِ بَعْضِ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ حَطَامٍ، حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَرْسِلَ ابْنَهُ لِلْعَاصِمَةِ لَطَلْبِ الْعِلْمِ فِي مَدْرَسَةِ الْفُنُونِ وَالصَّنَائِعِ.» (حقّي، 1994م، 50)

أهميّة الطّقوس والأعراف في القرية

الطّقوس يشمل كل العادات والتقاليد التي تنتجها ثقافة مجتمع ما بناء على معتقدات دينية أو مرجعية ثقافية ويعرفه العلماء بأنّه «مجموعة حركات سلوكية متكرّرة يتّفق عليها أبناء المجتمع.» (دينكن، 1981م، ص176)

تُستخدم الأعراف في المجتمعات الريفية لحل المشاكل والتي تم اختبارها على مدى الأزمنة الماضية ولهذا الأمر فإن هذا النوع من المجتمع عادة ما يقاوم أي نوع من التجدد والابتكار ويكون لرجال الدين الدور الأساسي والمهم لتعيين مجرى الأمور كما يلي:

«وأدرت أن مسألة شريط السكة الحديدية قد انتهت وانقطع كل أمل في مروره بنا، لما رأيت واعظ القرية يخرج عن صمته حين أقبل يخب في ثوبه المقلم.» (حقي، 1994، 12)

تتغلغل التقاليد بين أوساط المجتمع لاسيما الريفية، وتترك أثرها على الأفكار، فيصور الكاتب تقليد زواج البنت من ابن عمها وتوقعات المجتمع تجاه هذا الموضوع:

«بدأت هذه المأساة يوم أن هبط قريتنا منذ عشر سنوات سيرك متقل ونصب خيامه علي الجسر، لم يمكث بيننا إلا ثلاثة أيام، ثم رحل ورحلت معه باللفضيحة الفتاة السمراء التي كانت القرية تحبها، وتتوقع لها أن تتزوج من ابن عمها.» (حقي، 1994م، 23)

كذلك رسم الكاتب يحيى حقي تأثير التقاليد والنظرة الاجتماعية علي تصرفات الفرد في المجتمع:

«وأمسك بضفيرتها اليمنى وجذبها من وراء ظهرها، وأنزلها علي كتفها فوق صدرها، ثم ثبتت نظرتي علي عينيها لحظة قصيرة وانصرف عنها، ضاقت ذرعاً بهذا العبث... إذ لم تمتد يد غريبة لشعرها، ويحدث هذا أمام الناس أيضاً.» (حقي، 1994م، 24)

قلة التنقل بين المجتمعات

الغزوات الأجنبية على طول التاريخ تسببت بسلب الثقة عن الأجانب وبقي المجتمع التقليدي المحافظ في رواية صح النوم قليل التنقل ومتماسكاً بكل العمالة الممكنة وكان من الصعب أن يترك الواحد منهم قريته وأن يتنقل بين المجتمعات الأخرى لكسب علم أو مهارة أو ما شابه فتسبب هذا الأمر بجمود المعرفة وعدم تبادل الأفكار مع المجتمعات الأخرى كما في النموذج التالي:

«فسألني من أين أنا قادم فلما أنبأته إنني راجع من بلد أجنبي من وراء البحار لم يسألني عن أهله وجوه وعجائبه، بل بادرني متلهفاً بسؤال واحد:

- كم يبلغ مرتب العامل مثلي في هذا البلد؟ وكم ساعه يشتغل؟.» (حقي، 1994، 101)

وفي النماذج التالية يبين الكاتب هذه الآفة الاجتماعية التي أصابت القرية :

«وأهل القرية أسرة واحدة كبيرة معروفة بالكسل قليل تنقل أفرادها.» (حقي، 1994، 11)

«وهكذا ظلت قريتنا في مأمن من فضول الغرباء والمسافرين، وتطاعهم إلينا.» (حقي، 1994، 12)

«هي ليست من قريتنا... لم يشأ أن يكشف لأحد عن سره أو سرها، وعاشت بيننا في عزلة عنا، شأن الغريبة لا تزور ولا تزار.» (حقي، 1994، 18)

تأثير البيئة السكنية

الإنسان ابن بيئته بحيث إنه يتأثر بها بشكل كبير وإن كان هذا التأثير سلبياً فهذا يسبب مشاحنات تحرّض أفراد المجتمع على الخلافات العائلية والاجتماعية «فعدم التوافق العائلي مثلاً، يؤثر تأثيراً كبيراً في تكوين العادات ونمو الشخصية وتكاملها» (اوزي، 1979م، 15) كما نرى هذا الأمر في تأثير الحانة علي المجتمع والعائلات وما تسبب من مفارقات زوجية وعائلية قد ينتهي الأمر بالشجار أو إنهيار العائلة كما في النموذج التالي:

«ونساء القرية يظهرن السخط أيضاً علي صاحب الحانة نفسه فيزعمن أنه الذي ينتزع منهن أزواجهن وما في جيوهم من نقود قليلة هنّ وأولادهنّ أحقّ بها.» (حقي، 1994، 19)

«لا تكثرني إنني لا أجبر أحداً علي المجيء هنا، وعندي ما أقدمه للرواد من غير الخمرة كالقهوة والشاي والطعام أن أرادوا، إنّما هم يهربون منك ومن أمثالك، لا يعجبك العجب، وليس وراءك إلا النكد، وإذا كنت تحسبين إنني أجمع من مهنتي هذه ثروة أحسد عليها فأنت تخطين.» (حقي، 1994، 47)

كما أنّ تأثير البيئة السكنية قد يتسبب بمضايقات واختلافات عائلية كما في النموذج التالي:

«إنّ النساء يقبعن في بيوتهنّ وليس من عادتنا أن يخرج الرجل مع زوجته فإننا نأبي ونخجل خجلاً مربكاً أن نرى في صحبة نساننا.» (حقي، 1994، 41)

ونرى في نموذج آخر التأثير الذي تركه الأجانب علي البيئة السكنية لأهل القرية فكانوا السبب في فسادها:

«ويحك ألا تستحي؟ لقد كان الأجانب من قبل هم الذين يفتحون الحانات في ريفنا فيفسدون عشيرتنا ويبترّون أموالهم بالخمّر والرّبا» (حقي، 1994، 47)

النتائج

ضمن البحث في حياة يحيى حقي ومن خلال دراسة رواية "صح النوم" تم التوصل إلى النتائج التالية:

يحيى حقي الأديب والروائي المصري التركيّ الأصل من كبار الأدباء في فن الرواية والقصة القصيرة الذي غاص في عمق المجتمع المصري ليظهر المشاكل التي كانت تسبّب التخلف والجمود وإصلاحها من خلال مهارته في سرد قصص وروايات رمزية أثارت الشارع المصري والتي تحول بعضها إلى أفلام سينمائية خلّدها التاريخ.

امتلك يحيى حقي لغة سهلة وسلسة استطاع من خلالها أن يصف الريف المصري بسهولة وربوعه والذي جعله في زمرة أدباء الريف، وحلّ القضايا الاجتماعية للقرية المصرية وقدم لها حلاً ومن ضمن النتائج التي توصلنا إليها هي:

- 1- إقامة الديمقراطية: تحقيق الحياة الديمقراطية ومشاركة عامّة الشعب لاسيما الشباب بأمور الحكم بعدما كانت الحكومة في العهد القديم بيد العمدة العجوز والانتهازيين ولم يكن يسمح لأحد التدخل بأمور الحكم.

2- خرجت الأدوار والمهن والمكانة الاجتماعية من حالة جمود وراثية إلى الحالة الإكتسابية حيث استطاع الأفراد الحصول علي الوظائف والمهام بقدر ما يمتلكون من مهارات.

3- القضاء علي الاختلاف الطبقي يتحقق في كنف العدالة الاجتماعية، فسعت الإدارة السياسية الجديدة في القرية أن تحقق هذا المهم.

المراجع

- 1- إبراهيم الحيدري، الهيمنة الذكورية في المجتمع والسلطة، شبكة الاقتصاديين العراقيين.
- 2- احمد، اوزي؛ محمد، الدريج، المشكلات الأسرية والإنفعالية للمراهق المغربي، مجلة التدريس، عدد6، 1979م، ص15.
- 3- أمينة، شفيق، الانتهازية السياسية، مجلة الأهرام، ع 144، 2020م.
- 4- جالبير، غراغيوم، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة محمد اسليم، دار البيضاء، مطبعة افريقيا الشرق، ٢٠١١م، ص139.
- 5- حافظ، إبراهيم، ديوان حافظ ابراهيم، دار الغد الجديد، 2014م، ج1.
- 6- دينكن، ميتشل، معجم علم الاجتماع، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1981م، ص176.
- 7- علياء، شكري، الطفل والتنشئة الاجتماعية، نشر دار المعرفة الجامعية، 1994م، ص81.
- 8- فاروق، عبدالمعطي، يحيى حقي الأديب صاحب القنديل، دار الكتب العلمية، 1994م، ص39.
- 9- مبارك، طايبي، سوسيولوجية القروية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، د ت، ص3.
- 10- محمد منير، زلافي، المجتمع الريفي معالم رئيسية في المنوال المجتمع الريفي المصري، الشاطبي الاسكندرية، ١٩٥٨م، ص2.
- 11- محمد نبيل، جامع، تنمية المجتمع الريفي، ٢٠١١م، ص4.
- 12- محمد نبيل جامع، علم المجتمع الريفي وتطبيقاته التنموية، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٩م، ص20.
- 13- محمد، هواري، أعلام الأدب العربي المعاصر، ترجمة حقيقية ل50 شخصية أدبية، دار الكتب العلمية، 2018م، ص377.
- 14- يحيى، حقي، صح النوم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص38.
- 15- يحيى، حقي، قنديل أم هاشم، الهيئة المصرية للكتاب، 2000م، ص31.
- 16- يحيى، حقي، خليها علي الله، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987ش، ص75.